بسم الله الرحمن الرحيم

قبل عدة سنوات عُلّقت على لوحة المسجد رسالة لشخص يسأل عن بعض المسائل، وكان أحد تلك المسائل:

- عندما نقول (اللهم عجل فرج محمد وآل محمد واجعل فرجنا بفرجهم)

ما المقصود بـ « اجعل فرجنا بفرجه »؟ وهل يجوز قول هذه الجملة في السجود؟

وجدنا نفعا وفائدة في الأجوبة على تلك المسائل، وأحببنا تعليق الجواب على هذه المسألة لتعم الفائدة.

مكتبة المسجد

١١/ شوال/ ١٤٤٢

.....

.....

.....

انتظار الفرج

لم يكن صحيحا قولك: [عندما نقول: « اللهم عجل فرج محمد وآل محمد واجعل فرجنا بفرجهم »، ما المقصود بـ (اجعل فرجنا بفرجهم» ؟] ، فإن النظر إلى هذا النوع من الأدعية مما يختلف باختلاف الأشخاص ومعتقداتهم وتطلعاتهم، وليس له مفهوم محدد يشترك الجميع في فهمه ومن ثم قصده، بل ولا عدد من الناس إلا نادرا... ، أو صدفة، أو باستضعاف أحد لفئة والإملاء عليها بنمط خاص من النظر إلى أشياء والتعامل معها. وإلا فلا يوجد الآن ما يهدي أفهام الناس ويلم شعثهم، ويجمع شملهم ومنتشر أمورهم وأهواءهم المتفرقة بلا إكراه وضغط وإلجاء مباشر أو غير مباشر...

أجل فبالرغم من اشتراك الشيعة ظاهريا في كثير من الأقوال والممارسات والشعائر والشعارات فهم مختلفون إجمالا في واقع أفكارهم واهتماماتهم وتطلعاتهم بدرجة لا يكاد يستطيع المرء أن يحمل قول غيره أو فعله على محمل هو يراه صحيحا إلا بتكلف شديد، فالأصل (القاعدة) الآن هو الاختلاف في واقع الاعتقاد إلى أن يتبين الاتفاق، ولعل إلى هذا الأصل أشارت رواية البحار (٧٨/ ٣٧١) عن أبي محمد العسكري عليه السلام أنه قال: « ... ، وإذا كان الزمان الجور فيه أغلب فيه من العدل فليس لأحد أن يظن بأحد خيرا ما لم يعلم ذلك منه » ، ولا أظن أن أحدا يفهم من هذا الدعوة إلى اتهام الناس...

نتيجة القول أني لا أعرف ما يقصده غيري من الدعاء المذكور، إلا أن يكون ممن تبين لي أمره وانكشف لي سره... ، فالصدق هو أن أقتصر هنا على ما أعرفه وأعتقده أنا مما يرجع إلى الدعاء المذكور، وبالأحرى أن أشير إلى ما هو موجود في نفسي وما حدث فيها إلى الآن بصورة عفوية في هذا الصدد، وأرى أنه يحدث في عامة النفوس المؤمنة لو لم تكن متكلفة، مع ملاحظة أن هذا الوصف ليس دقيقا ولا يعكس واقع ما يجري في نفسي، فإن نفسي حساسة جدا تربكها المراقبة ويخرجها الرصد عن عفويتها، والأمر الآخر الذي يجب الانتباه إليه هو أن ما حاولت -وأحاول- الإشارة إليه من سيرة نفسي في هذا الصدد إنما يعكس ملامح حركتها في وجهتها، لا تفاصيل ما يجري فيها، فإنها واجهت في واقع حركتها كثيرا من العوائق وأصيبت بكثير من الانتكاس الذي استتبع بحمد الله التوبة ومحاولة الإصلاح...

ماذا يعني الفرَج؟

أرى أن واقع [الفرَج] ، لا مفهومه، مما يعرفه جميع الناس، إذ لا أتصور إنسانا لم يحس في حياته بـ[شدة] فتمنى الخلاص منها، إلا أن ما يختلف فيه الناس هو نوع الشدة التي يعانون منها، وبتبع ذلك يختلفون في نوع الفرج الذي يتمنونه، فما يعاني منه أكثر الناس بما منهم المسلمون هي أمور شخصية معينة كالجوع والمرض والضغط والقيد... ، فالفرج الذي يتمنى أحدهم إذن هو الشبع والصحة والراحة والحرية... لشخصه ولذويه، وأما الناس الآخرين فلا يكاد يهمه أمرهم اللهم إلا في حدود ضيقة وكلمح عابر بمقتضى فطرته الخاملة، حيث أن بذور الاهتمام بالآخرين موجودة في الإنسان فطريا، فقد تؤثر فيه بصورة خافتة، فإذا صادف ظلما تأذى منه، وإذا صادف جائعا أشفق عليه، وقد يحاول دفع الظلم وإطعام الجائع، ولكن

دون أن يتعدى الأذى والشفقة حدود الحادثة المثيرة، أو أن يمتدا لمدة طويلة...

وبالقفز على كثير من الأمور واختزال أمور أخرى أقول: بما أني أعلم قاطعا (بأدلة ليس هنا مجال نشرها) أن الإيمان لا يكون إلا بإمام من الله، أي بأن يكون الإمام المنصوب من الله إماما فعليا للعبد، فإذا كان كذلك فالإمام هو الذي يؤم حياته كله بما منها فكره وأحاسيسه وبصورة غير مباشرة، وبما أن هذا لا يحصل إلا بأن يكون الإمام عليه السلام في نفس الشخص أحب إليه من نفسه وأولى به منها، وبما أن الإنسان لا يمكن أن يحب أحدا إلا من خلال نفسه، أي أنه إنما يحبه إذا وجده في نفسه، وبما أن الإمام عليه السلام يمثل النفوس وتطلعاتها الفطرية من عبادة الله والعدل والحرية وغيرها مما تحبه النفس بفطرتها وترغب فيها وتجاهد لتحقيقها وتتحمل لأجلها أذى يشعره براحة وطمأنينة حتى لو بلغ مرتبة زهوق روحه، كان حبه للإمام عليه السلام حبا لنفسه المهتدية، فإن من تزكى فإنما يتزكى لنفسه...

وبما أني أعلم كذلك من جهة أخرى أن العبد إذا كان صالحا اهتم بتطلعات نفسه الفطرية وتفاعل معها وسعى إلى تحقيقها، بدلا من أن يهملها، وبما أن من أهم تلك الميول الفطرية هو [العدل] فهو يحب العدل ويسعى إلى القيام به، ويقوم بالتفكير فيه وفي أسبابه والأمور المؤثرة فيه والمتأثرة به، وفي كيفية تحققه، وحيث يفترض أن في نفس الوقت، بل قبل ذلك.. ، كانت نفسه بدافع من فطرتها قد اندفعت نحو الإمام بقوة أكبر من الاندفاع إلى كثير من متطلعاتها الأخرى، وقام بالبحث عنه -أي الإمام- ، وليفترض أنه وجد الإمام الهادي المطلوب، كان عليه السلام إذن إمامَ تطلعاته بشرح ليس كذلك هنا مجاله...

وبما أني أعلم أيضا (وبأدلة كثيرة) أن الإمام أيضا يحب العدل ويسعى إلى تحقيقه لا بدافع من فطرته فحسب، بل باعتباره أساسا لعبادة الله التي هي لُبّ رسالته عليه السلام، فهو يفتقد العدل جدا ويعاني كثيرا من الظلم الذي يصد عن سبيل الله، الظلم الذي يجده منعكسا في كل شيء حتى المساجد كما في صحيحة الحلبي كما في الكافي (٣/ ٣٦٨) ، فمن الطبيعي إذن أن يرغب في الفرج وينتظر جدا توفر الأرضية لعدل يدخل على الناس جوف بيوتهم كما يدخل الحر والقر كما في البحار (٥٢/ ٣٦٢)

فالعبد المؤمن الذي يفتقد العدل ويعاني من الظلم، والذي يفترض أنه قد عرف إمامه، فعرف -فيما عرف- عدله إجمالا، فهو يعاني إذن من غيبة الإمام عليه السلام من جهة كونه

إماما حيث زُرع حبه في فطرته وأوثقت به، ومن جهة أنه عليه السلام يمثل تطلعه الشديد إلى العدل، بل ويحقق أمنية جميع الأنبياء والأئمة عليهم السلام إليه

بما أني أعلم ذلك، وأعلم أيضا أن من عقل الحق عقَلَ رعاية علم مثلي أن بالإمام فقط يتحقق العدل المطلوب الذي كان [أحلى من الماء يصيبه الظمآن] كما في الكافي (٢/ ١٤٨) عن أبي عبد الله عليه السلام، فكان الإمام للعبد العارف به هو [القائم المؤمل والعدل المنتظر] كما في دعاء الافتتاح

وبما أني أعلم أيضا أن المؤمن وحده جماعة كما في الكافي (٣/ ٣٧١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وبأدلة وشواهد كثيرة جدا، صح أن يكون دعاؤه ما رواه الفقيه (١/ ٤٨٨) عن أبي جعفر عليه السلام: « اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا عنا وشدة الزمان علينا... فرّج ذلك يا رب بفتح منك تعجله ونصر منك تعزه وإمام عدل تظهره إله الحق رب العالمين »

أعود فأقول: لا أعلم مقصود الآخرين من قولهم: « واجعل فرجنا بفرجهم » ، وأما أنا فبالرغم مما أعاني في حياتي من مشاكل كثيرة، لكن أكبر همي هو ظهور الإمام عليه السلام الذي أحبه بدرجة أفديه بروحي وأهلي ومالي، كما أني أعلم أن ظهوره المقدس سيؤثر في كثير من مشاكلي وينهيها أو يخففها بشكل أو آخر... ، وبما أني أخاف أن يخذلني الشيطان ويجعلني أركز على هموم لا يمر فرجها عبر فرج الإمام روحي فداه، أدعو الله وأذكّر نفسي بما يثبتني على هذا الطريق...

كذلك أدعو لفرج الإمام الذي هو فرج محمد وآل محمد صلوات الله عليهم فأقول: « اللهم صل على محمد وآل محمد وعجل فرجهم »، وبما أني أعرف ذلك الفرج بدرجة أؤمن بها وأجد فيه فرجي، وأيضا بما أني لا أجدني وحدي وإن كنت ظاهرا بمفردي أقول: « واجعل فرجنا بفرجهم » ، كما أقول في صلاتي وإن كنت منفردا: [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] ، و [اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ] ...

هذا ولا أظن مانعا من جواز الدعاء المذكور في السجود بعد الذكر الواجب أو قبله، ولكن لا بعنوان الورود في مورد السجود، بل ولا بنية أن الدعاء وارد عن المعصوم فإنه لم يثبت وروده عنه عليه السلام بهذه الصيغة...

وفي الختام أشكرك على أسئلتك التي دفعتني إلى مراجعة ما أعتقده وأؤمن به، وتنظيم

مـا ببالي من تصـورات وأفـكار، وأن وفـرت لي فرصة واقعية لبيـان شيء من ذلـك، فأرجو أن يجازيـك الله خيرا، وأدعـوه سـبحانه أن يجعلنا مـن الباحثين عـن وجهه والمجاهدين في سـبيله والناصريـن لأوليائه، والحمد لله رب العـالمين وصلى الله على محمـد وآله الطاهرين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد علي باقري

٤/ شعبان المعظم/ ١٤٢٤